الفصل الرابع

في إثبات رسالة محمد ﷺ

المبحث الأول

في طريقة جمهور المتكلمين

قال: مُحَمَّدٌ أَفْضَلُ الرُّسُلِ الَّذِي سَمِعُوا تَصْدِيقَهُ مِنْ جَمَادَاتٍ وَذِئْبَانِ

أقول: لما فرغ من إثبات النبوة عموما شرع في إثبات[1] نبوة محمد ﷺ خصوصا[2]، وبيان كونه أفضل الأنبياء والرسل. أما الأول فهو أنه عليه السلام ادعى النبوة وأظهر المعجزة في يده وكل من كان كذلك فهو نبي. أما دعوى النبوة فبالتواتر واتفاق الخصوم عليها.

وأما[3] إظهار المعجزة فأنواع؛ منها كلام الجمادات، قال ابن عمر «كنا مع النبي ﷺ في سفر فأقبل أعرابي فلما دنى قال له النبي ﷺ أين تريد قال أتوجه إلى أهلي قال له ﷺ هل لك من خير[4] قال وما هو قال تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فقال له الأعرابي هل لك من شاهد قال أجل

---

(١) أول ق ٤٩ في ز.

(٢) انظر في هذا الموضوع الإرشاد للجويني: ١٣٧-١٤٣، نهاية الإقدام للشهرستاني: ٤٤٦ وما بعدها، تبصرة الأدلة للنسفي: ٤٨١-٥٣٥، المحصل للرازي: ٢٠٨ وما بعدها، طوالع الأنوار للبيضاوي: ٣١٧-٣٢١، غاية المرام للآمدي: ٣٤١-٣٦٠، أبكار الأفكار له: ٦٧/٤-١٤٢، شرح المواقف للجرجاني: ٢٦٧-٢٨٨، شرح المقاصد للتفتازاني: ٢٨٦/٣-٣٠٧، شرح العقائد مع الخيالي: ١٨٩، ١٩٠.

(٣) أ: أما.

(٤) لفظ الحديث (هل لك في خير).

هذه الشجرة . فدعى بها رسول الله ﷺ وهي على شط الوادي[1] ، فأقبلت[2] تخد الأرض خدا حتى قامت بين يدي رسول الله وشهدت[3] له بالنبوة ورجعت إلى منبتها وآمن الأعرابي»[4] . وقال أنس «كنا مع رسول الله فأخذ كفا من الحصى فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح في يده ثم صبهن في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان ثم في أيدينا فأخذوا واحدا بعد واحد فلم تسبح»[5] . وقال[6] جعفر[7] ابن محمد الصادق عن أبيه الباقر عن جابر أنه قال «مرض رسول الله ﷺ فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فسبح ذلك العنب»[8] . وقد سلم عليه الحجر وشهدت الشاة المسمومة بسمها في يوم الخيبر[9] .

---

(١) وفي لفظ الحديث (وهي بشاطئ الوادي) .

(٢) أ: فأقبل .

(٣) أ: وشهد .

(٤) أخرجه الدارمي في سننه ، كتاب المقدمة ، باب ما أكرم به الله نبيه ، عن ابن عمر: ٢٢/١ ، رقم (١٦) بلفظ قريب جدا من هذه الرواية ، وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير: ٤٣١/١٢ ، ٤٣٢ .

(٥) أورده القاضي يوسف بن إسماعيل النبهاني في كتابه حجة الله على العالمين ، باب تسبيح الحصى والطعام: ٤٤٧ ، ثم عزاه لابن عساكر ، وأورده الحافظ ابن حجر بلفظ متقارب «تناول رسول الله ﷺ سبع حصيات فسبحن في يده . . .» في فتح الباري: ٥٩٢/٦ ، رقم (٣٣٨٦) ، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ، باب ما جاء في تسبيح الحصيات في كف النبي ﷺ ثم في كف بعض أصحابه ، عن أبي ذر بلفظ قريب جدا من هذه الرواية: ٤٦/٦ .

(٦) أ : فقال .

(٧) هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم الملقب بالصادق ، لأنه لم يعرف عنه الكذب قط ، كان من كبار علماء التابعين ، وله منولة رفيعة في العلم .أخذ عنه جماعة ، منهم الإمام أبو حنيفة ، ومالك ، ولد بالمدينة عام ٨٠ هـ وتوفى بها سنة ١٤٨ هـ . وقد تكلم فيه ابن تيمية كعادته مع أهل البيت ، ورد عليه الدكتور محمود السيد صبيح ردا مشفوعا بالأدلة في كتابه القيم أخطاء ابن تيمية في حق رسول الله ﷺ وأهل بيته (١٣٠-١٣٤) وانظر أيضا وفيات الأعيان: ١٠٥/١ والأعلام للزركلي: ١٢٦/٢ .

(٨) أورده الحافظ ابن حجر في الفتح: ٥٩٢/٢ ، وأورده النبهاني في حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين: ٤٤٧ .

(٩) حديث شهادة الشاة المسمومة أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الهبة وفضلها، رقم (٢٤٧٤)، ومسلم في صحيحه ، كتاب السلام ، باب السم ، عن أنس ، رقم (٢١٩٠) ، وأبو داود في سننه، كتاب الديات ، باب فيمن سقى رجلا سما أو أطعمه فمات أيقاد منه: ٣٠٧/٦ ، وانظر للمزيد دلائل النبوة للبيهقي :٢٥٦/٤-٢٦٤ .

ومنها كلام الحيوانات العجم . روى أبو سعيد الخدري «أن راعيا يرعي غنما له فوثب عليه ذئب إلى شاة فاختطفها فحال الراعي بين[1] الذئب والشاة واسترجعها فأقعى على ذنبه وقال للراعي أما تتقي الله تحول بيني وبين رزقي الذي[2] ساقه الله إلي فقال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الناس ، فقال الذئب ألا أحدثك بأعجب من ذلك ، هذا رسول الله[3] يحدث الناس بأنباء ما قد سبق ، فأخذ الراعي الشاة إلى النبي ﷺ فأخبره بذلك فقال صدق ، إن من اقتراب[4] الساعة كلام السباع»[5] . وروت أم سلمة «أن النبي ﷺ كان يمشي في الصحراء فناداه مناد يا رسول الله فالتفت فإذا بظبية موثقة عند أعرابي نائم فقالت أدن مني يا رسول الله فقال ما حاجتك[6] فقالت إن هذا الأعرابي صادني ولي خشفان في هذا الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما[7] وأرجع[8] . فقال أتفعلين[9] ذلك؟ فقالت: إن لم أفعل فعذبني[10] الله عذاب[11] العشار ، فأطلقها فذهبت وأرضعت[12] أولادها[13] ورجعت. فأوثقها رسول الله ﷺ فانتبه الأعرابي فقال: يا رسول الله ألك حاجة؟ قال: نعم ؛ تطلق هذه الظبية فأطلقها فانطلقت وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وقد شهدت عنده ببراءة صاحبها من السرقة والذي بعثك بالكرامة[14] يا رسول الله إن هذا ما سرقني ولا ملكني[15] أحد سواه»[16] .

---

(١) أ: بدون (اراعي بين) .
(٢) أ: بدون (الذي) .
(٣) ز: بدون (الله) .
(٤) أ: اقترب .
(٥) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ، باب فمنه كلام الذئب: ٣١٨ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ، كتاب علامات النبوة ، باب إخبار الذئب بنبوته: ٢٦١/٨ وعزاه إلى أحمد ، ورجاله رجال الصحيح ، وأخرجه أحمد في المسند ، مسند أبي سعيد الخدري: ٨٣/٣ ، ٨٤ ، وانظر أيضا دلائل النبوة للبيهقي: ٤١/٦ .
(٦) أ: جاءتك .
(٧) أ: فأرضعها .
(٨) أ: بدون (أرجع) .
(٩) أ: أ تفعل ، ز: أ تفعلي .
(١٠) ز: فيعذبني .
(١١) أبدون (عذاب).
(١٢) أول ق ٤٣ في أ .
(١٣) أ: بدون (أولادها) .
(١٤) أول ق ٥٠ في ز .
(١٥) ز: وما ملكني .
(١٦)أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ، باب ذكر الظبي والضب ، عن زيد بن أرقم: ٣٢٠ ، وعن أنس بن مالك : ٣٢١ والبيهقي في دلائل النبوة عن أبي سعيد: ٣٤/٦ ، وعن زيد بن أرقم: ٣٥/٦ والطبراني في المعجم الكبير: ٣٣١/٢٣ ، ٣٣٢ رقم (٧٦٣) . وقال الباجوري (في شرح الجوهرة: ٢٣١):إنه موضوع لا أصل له .

وقد اشتكت إليه النوق عن أصحابها من قلة العلف[1] . واعلم أن كلمة « من » في قوله « من جمادات وذئبان » إن حملت على التبعيض فلا إشكال لكن العبارة تأبى عنه فينبغي أن يراد بالتصديق ما يعم التصديق الحقيقي وما يجري مجراه على سبيل التغليب أو العموم في المجاز كما في الذئبان .

ثم إن دلائل النبوة لا تقتصر[2] على ما ذكر بل لها أنواع وأفراد أخر وذلك كالنور الذي يظهر في جبين آبائه إلى أن ولد وكولادته مختونا مسرورا[3] واضعا إحدى يديه على عينيه والأخرى على السرة وكخاتم النبوة بين كتفيه[4] وكطول قامته عند الطويل ووساطته عند الوسيط[5] وكرؤيته[6] من خلفه كما يرى من قدامه[7] وكونه مستجاب الدعوة[8] وكخرور الأوثان والأصنام سجدا ليلة ولادته وكسقوط

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، مسند الشاميين ، من حديث يعلى بن مرة: ١٧٣/٤ .

(٢) أ ، ز: يقتصر ، وما أثبته من « ص » .

(٣) انظر في هذا البداية والنهاية للحافظ ابن كثير: ٢٤٦/٢ ، ٢٤٧ .

(٤) حديث خاتم النبوة أخرجه الكثيرون منها ما في صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، باب استعمال فضل وضوء الناس: ٨١/١ ، رقم (١٨٧) ، وفي كتاب المناقب ، باب خاتم النبوة:١٣٠١/٣ ، رقم (٣٣٤٨) ، وفي كتاب المرضى ، باب من ذهب بالصبي المريض: ٢١٤٦/٥ ، رقم (٥٣٤٦) ، وفي كتاب الدعوات ، باب الدعاء للصبيان: ٢٣٣٧/٥، رقم (٥٩٩١) كلها عن السائب بن يزيد . وفي صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب إثبات خاتم النبوة: ١٨٢٣/٤ ، رقم (٢٣٤٥) عن السائب ، وفي نفس الكتاب والباب عن عبد الله بن سرجس: ١٨٢٣/٤ ، رقم (٢٣٤٦) . وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب: رقم (٣٦٣٨ ، ٣٦٤٣) .

(٥) أ: بدون (عند الوسيط) .

(٦) أ: وكرؤية .

(٧) أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ : ١٦١/١ ، رقم (٤٠٨) ، ٢٥٩/١ ، رقم (٧٠٨) ، ومسلم في صحيحه: ٣١٩/١ ، رقم (٤٢٤) « فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم ، إني لأراكم من وراء ظهري »

(٨) ومما يدل عليه ما أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك: ٣١٥/١ ، رقم (٨٩١) « . . .قام أعرابي فقال يا رسول الله هلك الماء وجاع العيال فادع الله لنا . . .فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهرا . . . » .

شرف قصور الأكاسرة بعدها[1] وكإظلال السحاب عليه حيثما مشى وكينبوع الماء من بين أصابعه إلى أن رويت جيشه ودوابهم[2] وكشبع الخلق الكثير من طعامه اليسير[3] وكحنين الجذع في مسجد المدينة حين[4] انتقل منه ﷺ إلى المنبر[5] .

* * *

المبحث الثاني

في طريقة الإمام الغزالي

قال : وَأَمْرُهُ بَيِّنٌ فِي حَالَتَيْهِ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ فِي اعْتِبَارِ الْحَالِ عَيْنَانِ

أقول : أي شأنه في الرسالة بين لأهل البصائر حال النبوة وقبلها ؛ فإنه ﷺ لم يقدم قط على أمر قبيح وإلا لنقله أعداؤه وكان في غاية الفصاحة والبلاغة حتى قال ﷺ «أوتيت جوامع الكلم»[6] وكان في نهاية الصبر والسماحة لما تحمل في

---

(١) انظر في سقوط الشرفات البداية والنهاية للحافظ ابن كثير: ٢٤٩/٢ ونهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز للعلامة رفاعة رافع الطهطاوي: ٥٩ .

(٢) أ: جيشة دوابهم . انظر في معجزة نبع الماء من بين أصابعه ﷺ صحيح البخاري: ٦٧٢/٦ ، صحيح مسلم: ١٧٨٣/٤ وهو متفق عليه ، وفي فتح الباري للحافظ ابن حجر : ٤٣٣/١، ٣٣٧/٥، ٥٨٢/٦، ٥٨٤ .

(٣) حديث شبع الخلق الكثير من طعامه اليسير أخرجه الشيخان ، صحيح البخاري : ٦٧٨/٦ ، صحيح مسلم : ١٦١٢/٣ .

(٤) أ: حتى .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب الخطبة على المنبر ، عن جابر: ٣١١/١ ، رقم (٨٧٦) ، وانظر شرح مسلم للإمام النووي: ١٧١/٤ وفتح الباري لابن حجر العسقلاني: ٤٧٣/٦ ، ٥٩٢ ، ٦٠٢ ، ٦٣٦ ، وانظر دلائل النبوة للبيهقي ، باب ما جاء في حنين الجذع: ٦٦/٦-٦٨ .

(٦) أخرجه أحمد في مسنده عن أبي هريرة ، رقم (٧٠٩٦) ، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٧٣/١ ، ١٨٢ ، وأورده الحافظ ابن حجر في الفتح: ٥٢٥/١٣ .

تبليغ الرسالة من أنواع المشاق من غير فتور في عزيمته[1] ثم إنه لما استولى على الأعداء وبلغ الرتبة العليا في نفاذ أمره في الأموال والأنفس لم يتغير عما كان عليه ، فكان في غاية الشفقة على الأمة والسخاوة حتى خوطب بقوله تعالى ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ (فاطر:٨) وعوتب بقوله ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ (الإسراء:٢٩)

وكان لا يلتفت إلى زخارف الدنيا حتى إن قريشا عرض[2] عليه المال والرياسة و[3]لم يلتفت إليهم أصلا ، وكان مع الفقراء والمساكين في غاية التواضع والمسكنة ومع الأغنياء وأرباب الرياسة في غاية الترفع . وقد أوتي من علوم الأولين والآخرين كما يشهد به الزبر المؤلفة في التفاسير والأحكام . وقد أقدم ﷺ حيث يحجم الأبطال ولولا ثقته بعصمة الله إياه[4] لامتنع ذلك منه . وهذا المسلك في إثبات نبوته مما اختاره الغزالي في كتابه المسمى بالمنقذ عن الضلال وارتضاه الجاحظ[5] من أهل الاعتزال .

* * *

(١) ز: عزيمة .

(٢) ز: بذلوا ، وما أثبته ـ إضافة إلى «أ» ـ من «ص» .

(٣) أ: بدون الواو .

(٤) أ ، ز: ولولا لقيه بعصمة إياه ، وما أثبته من «ص» .

(٥) أ ، ز: الحافظ . هو: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني البصري المعتزلي ، كبير أئمة الأدب ، رئيس الفرقة الجاحظية ، ولد بالبصرة سنة: ١٥٠ هـ/٧٦٧ م . كانت له مؤلفات كثيرة ، ومن الغريب أنه قتل تحتها سنة: ٢٥٢ هـ/٨٦٦ م .انظر تاريخ بغداد: ٢١٢/١٢-٢٢٠ ، الفرق بين الفرق: ١٨٧-١٩٠ ، التبصير في الدين للإسفرائني: ٦٩-٧١ ، أبكار الأفكار: ٥٠/٥ ، البداية والنهاية لابن كثير: ٢٢/١١ ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ١١١/٢-١٣٥ ، تاريخ الفلسفة في الإسلام لديبور: ١١٢ ، ١١٣ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ٥٨٢/٢-٥٨٤ .

المبحث الثالث

في طريقة الإمام الرازي

ثم إنه ﷺ بعث في قوم لا كتاب ولا حكمة لهم بل هم كانوا عن الحق معرضين وعلى البطلان مصرين فالقريش[1] على وثد[2] البنات وعبادة[3] الأوثان والفرس على عهر الأمهات وتعظيم النيران والترك على درء العباد وتخريب البلدان والهند على عبادة البقر وتعظيم الحجر بالسجود واليهود على صفة التزوير وكتم الحق بالجحود والنصارى على التثليث[4] في الفرد الصمد المعبود فضلل آراءهم وسفه أخلاقهم وأبطل[5] مللهم وهدم[6] دولهم مع كثرتهم أعوانا وأشياعا وقلته أصحابا وأتباعا وكمل[7] البرايا بالبر والإيمان ونوَّر العالم بالعلم والعرفان وأظهر دينه على جميع الأديان فاشتهر ذلك في الآفاق والأقطار وصار كالشمس في رابعة النهار، ولامعنى للنبي سوى ذلك. وهذا المسلك مما اختاره الرازي في كتابه المسمى المطالب العالية[8].

* * *

(١) ز: فعلى القريش.
(٢) ز: ورعد، أ: وده.
(٣) أول ق ٥١ في ز.
(٤) ز: الثلث.
(٥) ز: بطل.
(٦) أول ق ٤٤ في أ.
(٧) أ، ز: وكل، وما أثبته من «م».
(٨) انظر المطالب العالية: ٨/٦١-٦٤.

المبحث الرابع

في معجزاته ﷺ

قال : إِخْبَارُهُ عَنْ غُيُوبٍ كَالْحِكَايَةِ عَنْ بَلْوَى تُصِيبُ[1] بِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانِ

أقول: يعني أن معجزات نبينا كثيرة[2] . منها إخباره عن المغيبات وذلك مثل الحكاية عن بلوى أصابت بعثمان بن عفان رضى الله عنه ؛ ذكر البخاري في مناقبه «أن حمادا روى عن أيوب عن أبي عثمان[3] عن أبي موسى أن النبي عليه الصلاة والسلام دخل حائطا وأمرني بحفظ باب الحائط فجاء رجل يستأذن فقال ائذن له وبشِّره بالجنة فإذا أبو بكر ثم جاء آخر يستأذن فقال ائذن له وبشِّره بالجنة فإذا عمر ثم جاء آخر يستأذن فسكت هنيهة ثم قال ائذن له وبشِّره بالجنة على بلوى ستصيبه ؛ فإذا عثمان بن عفان رضى الله عنه»[4] .

قال: وَمَا جَرَى بَيْنَ كِسْرَى وَالصَّحَابَةِ مِنْ إِلْفَاقِ كَنْزٍ وَمِنْ تَخْرِيبِ بُلْدَانِ

أقول : «ما جرى» عطف على «بلوى» في البيت السابق أو على الحكاية أي إخباره عن الغيوب كالحكاية عن ما جرى أو مثل ما جرى عن عدى أنه قال

---

(١) أ ، ز: يصيب وما أثبته من م ومن خير القلائد .

(٢) أ: بدون (كثيرة) .

(٣) ز: بدون (عن أبي عثمان) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب مناقب عثمان ، عن أبي موسى: ١٣٥١/٣ ، ٢٦٥١/٦ ، رقم (٣٤٩٢)، (٦٨٣٤) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل عثمان ، عن أبي موسى: ١٨٦٧/٤ ، رقم (٢٤٠٣) .

« قال[1] رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى ، (قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ، قال عدي كنت فيمن فتح كنوز كسرى)[2] بن هرمز »[3] . وعن أبي هريرة قال « قال رسول الله ﷺ إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر[4] بعده والذي نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله تعالى »[5] .

قال: وَغَزْوَةِ الْبَحْرِ مِنْهُم مَّرَّتَيْنِ وَأَنْ يَكُونَ مَعْ أَوَّلِيهِمْ بِنْتُ مَلْحَانِ

أقول: « غزوة » عطف على « ما جرى » وقوله « وأن يكون » عطف على غزوة . فهما معجزتان له عليه السلام . قال أنس « دخل رسول الله ﷺ على بنت ملحان فاتكأ عندها ثم ضحك فقالت لم تضحك يا رسول الله فقال ناس من أمتي يركبون[6] البحر الأخضر في سبيل الله مثلهم مثل الملوك على الأسرة . فقالت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ثم عاد فضحك فقالت مثل ذلك أو مما ذلك فقال لها مثل ذلك فقالت ادع الله أن يجعلني منهم قال أنت من الأولين ولست من الآخرين ، قال أنس فتزوجت

---

(١) أ : بدون (قال) .

(٢) ز: ما بين القوسين ساقط من « ز » .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة ، عن عدي بن حاتم: ١٣١٦/٣ ، رقم (٣٤٠٠)، وقريب من ذلك ما رواه أحمد في مسنده ، أول مسند البصريين ، باب حديث جابر ، عن جابر: ١٠٣/٥ ، رقم (٢٠٠٨١) .

(٤) ز: بدون (فلا قيصر) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فرض الخمس ، باب قول النبي ﷺ أحلت ، عن أبي هريرة: ١١٣٥/٣ ، رقم (٢٩٥٢) ، وفي كتاب المناقب ، باب علامات النبوة ، عن أبي هريرة: ١٣٢٥/٣ ، رقم (٣٤٢٢) ، وفي كتاب الأيمان والنذور ، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ ، عن أبي هريرة: ٢٤٤٥/٦ ، رقم (٦٢٥٥)، كما أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الفتن ، باب ما جاء إذا ذهب كسرى ، عن أبي هريرة: ٤٩٧/٤، رقم (٢٢١٦) وأحمد في مسنده ، كتاب باقي مسند المكثرين ، باب مسند أبي هريرة: ٢٣٣/٢ ، رقم (٧١٨٤) .

(٦) أ: تركبون .

عبادة بن الصامت ، فركبت[1] البحر[2] مع بنت قرطة ، فلما قفلت[3] ركبت دابتها فوثبت بها فسقطت عنها فماتت»[4] .

قال: وَشَقُّهُ قَمَرًا وَالْكَشْفُ إِذْ سَأَلُوا غَدَاةَ مِعْرَاجِهِ عَنْ حَالِ رُكْبَانِ

أقول: «شقه» عطف على «إخباره» لا على «غزوة» إذ ليس هو من قبيل الإخبار بالغيب . وروى أنس «أن أهل مكة سألوا رسول الله أن يريهم[5] آية فأراهم انشقاق القمر»[6] . وقوله «والكشف» عطف على «الشق» . وذلك أن النبي ﷺ لما أخبر بحديث الإسراء قال أبوجهل يا معشر بني كعب بن لؤئ هلم فحدثهم النبي ﷺ بالإسراء . فمنهم من صفق أصابعه ووضع يده على رأسه تعجبا وإنكارا ، ومنهم من سعى إلى أبي بكر رضى الله عنه فقال إن كان قال ذلك فلقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك فقال إني لأصدقه[7] على أبعد من ذلك ، فسمي صديقا .

---

(١) أول ق ٥٢ في ز .

(٢) ز: بدون (البحر) .

(٣) أ: فضلت ، ز: دخلت ، وما أثبته من نص الحديث ، وهكذا أيضا في «م» .

(٤) أخرجه البخاري في أماكن متعددة في صحيحه ، كلها عن أنس ، (١) كتاب الجهاد والسير ، باب الدعاء بالجهاد: ١٠٢٧/٣ ، رقم (٢٦٣٦) ، (٢) كتاب الجهاد والسير ، باب فضل من يسرع في سبيل الله:« ١٠٣٠/٣ ، رقم (٢٦٤٦) ، (٣) كتاب الاستئذان ، باب من زار قوما: ٢٣١٦/٥ ، رقم (٥٩٢٦) ، (٤) كتاب التعبير ، باب الرؤيا بالنهار: ٢٥٧٠/٦ ، رقم (٦٦٠٠) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب فضل الغزو في البحر ، عن أنس: ١٥١٨/٣ ، رقم (١٩١٢) ، والترمذي في سنه ، كتاب فضل الجهاد ، باب ما جاء في غزو البحر ، عن أنس: ١٧٨/٤ ، رقم (١٦٤٥) .

(٥) أ: تريهم .

(٦) حديث انشقاق القمر أخرجه الصحيحان ، البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب سؤال المشركين للنبي ﷺ أن يريهم آية ، عن أنس: ١٣٣١/٣ ، رقم (٣٤٣٨) ، وفي باب انشقاق القمر ، عنه: ١٤٠٤/٣ ، رقم (٣٦٥٥)، وفي كتاب تفسير القرآن ، باب وانشق القمر ، عنه: ١٨٤٤/٨، رقم (٤٥٨٦) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب انشقاق القمر ، عن أنس: ٢١٥٩/٤ ، رقم (٢٨٠٢) ، وأحمد في مسنده: ٢٢٠/٣ . انظر البداية والنهاية لابن كثير: ١١٦/٣-١٢٠ .

(٧) أول ق ٤٥ في أ .

وارتد آخرون ممن آمن به قالوا إن كنت صادقا فيما ذكرت فانعت لنا المسجد فجلى الله تعالى بيت المقدس[1] فطفق ينظر إليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فيه فقالوا أخبرنا عن غيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال يقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا بشروق ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله والشمس قد شرقت وقال آخر هذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد ﷺ ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا إلا سحر مبين .

قال: وَالرَّمْيُ بِالْبَدْرِ بِالْحَصْبَاءِ أَعْيُنَهُمْ وَالرَّدُّ[2] فِي أُحُدٍ عَيْنَ بْنِ نُعْمَانِ

أقول: «الرمي» معطوف على «الكشف» و«البدر» في الأصل اسم ماء كانت العرب يجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ، ثم قيل للمواضع القريبة منه بدرا[3] ، و«الحصباء»[4] دقاق الحصى والرمل وذلك أن أبا جهل لما خرج بجميع أهل مكة ونزل بالبدر لمقاتلة الرسول وأصحابه قال رسول الله ﷺ «هذه قريش قد جاءت بخيلائها[5] وفخرها يكذبون رسول الله إني أسألك ما وعدتني» ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال «خذ قبضة من تراب فارمهم» فقال لما التقى[6] الجمعان لعلي بن أبي طالب أعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال «شاهت الوجوه» . فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهزموا ورَدِفَهُمْ المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم[7] . وذلك قوله تعالى ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ (الأنفال:١٧) وقوله «ورد» عطف على «الرمي» ، فهو معجزة أخرى للنبي ﷺ .

---

(١) ز: البيت المقدس ، وهو أيضا صحيح على سبيل صفة وموصوف ، وما أثبته مركب إضافي .

(٢) أ ، ز: ورد ، وما أثبته من م ومن خير القلائد .

(٣) أ: بدر .

(٤) ز: والحصى .

(٥) أ: بجيلانها .

(٦) أ: لما قال التقى .

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير: ١٤٠٢/٣ ، رقم (١٧٧٧) وأحمد في مسنده: ٣٦٨/١ ، رقم (٣٤٨٥) .

قال: وَكَمْ رَوَوْا بِأَسَانِيدٍ مُصَحَّحَةٍ أَمْثَالَ مَا قَدْ رَوَى عَنْهُ الصَّحِيحَانِ

أقول: يعني أن الأحاديث المروية بأسانيد صحيحة في شأن المعجزة كثيرة كما ذكرت في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما[1] من الزبر المؤلفة[2] في الأحاديث، فمن أرادها فليرجع[3] إليها.

قال: دَلَالَةُ الصِّدْقِ بَيْنَ الْكُلِّ مُشْتَرَكٌ تَوَاتَرَتْ مِثْلَ مَعْنَى شِعْرِ حَسَّانِ

أقول: يعني أن كل واحد من هذه المعجزات وإن لم يبلغ حد التواتر إلا أن القدر المشترك بين الكل متواتر بلا ريبة كشعر حسان[4] وشجاعة على وجود حاتم[5] فيجوز بها[6] إثبات نبوة محمد ﷺ.

---

(١) أول ق ٥٣ في ز.

(٢) ز: المؤلف.

(٣) أ، ز: فليراجع، وما أثبته من «م».

(٤) وهوحسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد، الصحابي الجليل، شاعر رسول الله ﷺ ومادحه، دعا له الرسول الكريم ﷺ بالتأييد بروح القدس، وكان يدافع عنه ﷺ أمام المشركين. وهو من المخضرمين الذين أدركوا الإسلام والجاهلية. قال أبو عبيدة: فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي في النبوة، وشاعر اليمانيين في الإسلام، توفى سنة ٥٤ هـ. انظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ٢٤٧/٢، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٢١٠/١-٢١٣ والأعلام للزركلي: ١٧٦/٢.

(٥) هو: حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عدي، فارس شاعر جواد يضرب المثل بجوده، كان من أهل نجد، زار الشام، توفى سنة ٤٦ قبل الهجرة. انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ١٦٩/١، ١٧٠، الأعلام للزركلي: ١٥١/٢ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ٥١٧/١. وقد عده العلامة رفاعة رافع الطهطاوي (في نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز: ٣٤) من الذين حكم عليهم بالكفر من بعض أهل الفترة مثل امرئ القيس، وعلق المحقق على كلامه بـ«لا نعرف للمؤلف - أي الطهطاوي - مصدرا في ذلك».

(٦) هذا هو الحق الصريح الذي يتلقاه العقول بالقبول. وأما النزعة الحديثة التي بدت عند بعض المحدثين والمعاصرين - من أمثال فريد وجدي ومحمد حسين هيكل ومحمد عبده ومن سار على منوالهم - من التقليل من شأن المعجزات الحسية أو تفسيرها بحيث لا تتعارض مع القوانين الطبيعية فليس إلا نوعا من التأثر بالحتمية الطبيعية التي أنتجتها الثقافة الغربية والعلم الغربي في القرن الماضي وعدل عنها أصحابها أنفسهم. ولقد أجاد شيخ الإسلام مصطفى صبري رحمه الله كل الإجادة في رد هؤلاء في كتابه الشهير المبهر «موقف العقل والعلم والعالم من كلام رب العلمين ورسله» وفي كتابه «القول الفصل» أيضا.

المبحث الخامس

في إعجاز القرآن

قال: وَأَعْظَمُ الآيِ قُرْآنٌ لِمَا عَجَـزُوا عَنْ سُورَةٍ مِنْهُ مَـعْ صَـرْفٍ لأَذْهَـانِ

أقول: ينبغي للمتدين بدين الإسلام أن يتكلم في شأن كلام الله تعالى العلام ؛ إذ هو العمدة العظمى في هذا المقام ، فليتكلم في إعجازه وجهته ودفع ما يورد عليه من الأوهام . أما الأول : فهو أنه ﷺ أفحم من قصد معارضته من العرب العرباء[1] وأبكم من تصدى بتحديه من مصاقع[2] الخطباء فلم يأت بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار أقصر[3] سورة منه[4] ناهض من بلغائهم مع أنهم كانوا أكثر من حصى البطحاء وأوفر من رمال[5] الدهناء ، واشتهارهم في الإفراط في العصبية والحمية الجاهلية وتهالكهم على المباهات ودفاع الحطط عن[6] الأحساب وركوبهم[7] على كل صعب وذلول في[8] مثل هذا الباب ، حتى آثروا المقارعة[9] على المعارضة ، وما ذلك إلا لعلمهم بأن النهي لا يرى حيثما ارتفع الشمس من الآفاق

---

(١) العرباء صفة مؤكدة للعرب من لفظه كـ«ليل لائل» و «ظل ظليل» . ويقسم العرب إلى أقسام منهم العرباء ، وهم خلصهم ، والثاني العرب المتعربة ، وهم الذين ليسوا بخلص كبني قحطان ، والثالث العرب المستعربة . انظر الصحاح للجوهري: ١٧٨/١ ، المزهر للسيوطي: ٣١/١ وفيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح للفاسي: ٥٤٥/١ ، ٥٤٦ .

(٢) أ: مصافح .
(٣) ز: قصر .
(٤) أ: بدون (منه) .
(٥) أ: رماء ، ز: مال ، وما أثبته من «م» و «ص» .
(٦) أ ، ز: على ، وما أثبته من «ص» و «م» .
(٧) أ: وركونهم .
(٨) ز: بدون (في) .
(٩) أ: المفارغة .

وأشرقت الأرض بنورها كل[1] الإشراق . وأما الثاني : فالجمهور على أن وجه إعجازه هو اشتماله على الطبقة العليا من البلاغة والبراعة لما أن فصحاء العرب إنما يتعجبون من حسن نظمه وبلاغته[2] حتى يرقصون[3] رؤوسهم عند سماع قوله ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ ﴾ (هود:٤٤) الآية . وقيل إعجازه بنظمه[4] الغريب أعني تركب[5] كلماتها وضم بعضها إلى بعض وإنه مخالف لما عليه نظم العرب في المطالع[6] والمقاطع والفواصل وقد عجزوا عنه .

وقيل لاشتماله على الأخبار عن المغيبات الماضية والآتية . وقيل بل[7] لاحتوائه على دقائق العلوم والإرشاد إلى فنون الحكمة العلمية والعملية والمصالح الدينية والدنيوية . وقيل لسلامته عن الاختلاف والتناقض ، وقيل بالصرفة[8] .

---

(١) ز: بدون (كل) .
(٢) أول ق ٤٦ في أ .
(٣) يرقصون .
(٤) أ: بنظم .
(٥) ز: ترتب .
(٦) أ : بدون (المطالع) .
(٧) أ: بدون (بل) .

(٨) هذا القول ينسب إلى النظام وعيسى بن صبيح المردار والرماني من المعتزلة ، وبعض الشيعة مثل الشريف المرتضى ، وابن حزم الظاهري والأستاذ أبو إسحاق من الأشاعرة . وينسبه السنوسي إلى الأشعري في أحد أقواله . وقد أنكر القاضي عبد الجبار – مع كونه من رؤساء المعتزلة – القول بالصرفة وناقشه في أكثر من موضع من كتابه المغني . ويقول الأديب مصطفى صادق الرافعي المصري «النظام هو الذي بالغ في القول بالصرفة ، وكان هذا الرجل من شياطين أهل الكلام . .والقول بالصرفة هو المذهب الفاشي من لدن قال به النظام يصوبه فيه قوم ويشايعه آخرون . وعلى الجملة فإن القول بالصرفة لا يختلف عن قول العرب فيه «إن هذا إلا سحر يؤثر» ، وهذا زعم رده الله على أهله ، وجعل القول به ضربا من العمى «أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون» . انظر مقالات الإسلاميين للأشعري: ٢٩٦/١ ، مجرد مقالات الشيخ الأشعري لابن فورك: ١٨٥ ؛ الملل والنحل للشهرستاني: ٥٦/١ ، ٥٧ ، أبكار الأفكار للآمدي: ٧٣/٤ ، ٧٤ ، شرح السنوسي الكبرى: ٤٧٥ ، المغني للقاضي عبد الجبار: ٢١٧/١٦ ، ٣٢٧ ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي: ١٦٢ . والمعجزة والإعجاز في القرآن الكريم للدكتور سعد الدين السيد صالح: ١٥٣-١٦١ .

ورد بعد ما سيق[1] بأن حماقات مسيلمة الكذاب[2] على ذلك النظم ، منها «الفيل ما الفيل له ذنب وثيل وخرطوم طويل» ، والإخبار عن المغيبات لايوجد إلا في قليل من الآيات فيلزم أن لا يكون غيرها معجزا وهو باطل بالإجماع ، على أنه قد يوجد في سائر الكتب السماوية بل في الأحاديث النبوية وليست بمعجزة اتفاقا . وقد يشتمل كلام الحكماء على العلوم والحكم والمصالح ، وكلام[3] البلغاء وغيرهم قد يسلم عن الاختلاف[4] والتناقض . ولو كان الإعجاز بالصرفة لكان الأنسب ترك الاعتناء ببلاغته وعلو طبقته لأنه كلما كان أنزل في البلاغة كان عدم تيسر المعارضة أبلغ في خرق العادة .

وأما الثالث : فهو أن إعجاز القرآن قد اشتهر في جميع الأعصار والأمصار[5] وصار كالشمس في رابعة النهار فالتحق بالضروريات من الأحكام ، فما[6] يورد عليه من الشكوك والأوهام لايستحق الجواب والكلام . إلا أني أورد لك بعضا مما هو أقوي منها[7] في هذا المقام دفعا لما يتطرق إليك من الدغدغة في إعجاز الكلام .

وهو أن الوجوه المذكورة فيما تقدم لايصلح شيء منها أن يكون جهة للإعجاز. أما ما عدا البلاغة والفصاحة فلما مر . وأما البلاغة والفصاحة فلأنا إذا أخذنا أبلغ قصيدة من قصائد الشعراء أو أفصح[8] خطبة من خطب العرب العرباء وقسناها إلى أقصر سورة منه لم نجد الفرق بينهما بينا ، بل ربما يتحقق في غيرها من الخواص

---

(١) أ ، ز: سبق ، وما أثبته من «ص» و «م» .

(٢) مسيلمة الكذاب ، يضرب به المثل في الكذب ، هو ابن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي ، أحد الذين ادعوا النبوة . ولد ونشأ باليمامة في وادي حنيفة من نجد ، وقد أكثر من وضع الأسجاع التي يحاول بها مضاهات القرآن الكريم ، حاربه سيف الله خالد بن الوليد ﷺ ، وقتله وأنقذ العالم من شروره سنة ١٢ هـ . انظر البداية والنهاية لابن كثير: ٣٤٥/٦ ، ٣٤٦ والأعلام للزركلي: ٢٢٦/٧ .

(٣) أول ق ٥٤ في ز .

(٤) أ: الاختلافات .

(٥) أ : بدون (الأمصار) .

(٦) ز ، أ: فيما ، وما أثبته من «ص» .

(٧) ز: بدون (منها) .

(٨) ز: فصيح .

والمزايا ما لم يوجد فيها ، والمعجزة لابد أن تترقى[1] على غيرها بحيث لايحوم حولها[2] شائبة شك وإنكار ، كيف وقد أنكر ابن مسعود[3] كون الفاتحة والمعوذتين من القرآن مع كونهما أشهر[4] سوره[5] . والأصحاب ترددوا فيما أتى واحد لم يشتهر بالعدالة ولم يضعوا[6] ذلك في المصحف بدون الشاهد أو اليمين على أنه قد يشتمل على أسباب تخل[7] بالفصاحة والبلاغة كتنافر الحروف في ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ ﴾ (يس:٦٠) ﴿ وَسَبِّحْهُ ﴾ (الإنسان:٢٦) فإنه يؤدي إلى الثقل على اللسان المخل بالفصاحة وكمخالفة القياس وضعف التأليف في قوله ﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَانِ ﴾ (طه:٦٣) وقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾(المائدة:٦٩) وقوله ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (النساء:١٦٢) ، حتى قال عثمان بن عفان حين عرض عليه المصحف « إن فيه لحنا[8] وستقيمه العرب بألسنتهم »[9] ، وكالتكرار والتطويل بلا فائدة كما في سورة الرحمن وقوله ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ (البقرة:١٩٦) إلى غير ذلك . والجواب أن التفاوت فيما بين القرآن وغيره بين لمن كان له ذوق سليقي

---

(١) جميع النسخ يترقى .
(٢) جميع النسخ: حوله .
(٣) هو أبو عبد الرحمن عبد الله ابن أم عبـ ، الهذلي ، صاحب رسول الله ﷺ وأحد السابقين الأولين وأحد كبار البدريين ونبلاء الفقهاء والمقرئين . كان يتحرى في الأداء ، ويتشدد في الرواية ، ويزجر تلامذته عن التهاون في ضبط الألفاظ . وقد أسلم قبل إسلام عمر ، وحفظ من رسول الله سبعين سورة ، وفي شأنه قال رسول الله ﷺ «من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد» ، وله قراءات وفتاوى ينفرد بها .انظر تذكرة الحفاظ للذهبي: رقم ٥ .
(٤) ز: مع كونها من أشهر .
(٥) جميع النسخ: سورها .
(٦) أ : لم يصفوا .
(٧) أ : مخل .
(٨) اللحن ـ بسكون الوسط ـ إمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية . وقيل هو من أسماء الأضداد ، فيستعمل بمعنى الخطأ ، وبمعنى الفطنة . وقيل هو بالفتح الخطأ ، وبالتحريك الفطنة . وفيه أقوال أخر انظر فيض نشر الانشراح من روض ضي الاقتراح للعلامة ابن الطيب الفاسي: ٤٢٤/١ ، ٤٢٥ .
(٩) ولم أقف على مصدر هذا الأثر ، وقد أورده الآمدي (الأبكار ١٠٠/٤ ، ١٢٦) أيضا دون أن ينسبه إلى مصدر .

أو كسبي بتتبع علمي المعاني والبيان فلا يضرنا خفائه على القاصرين في ذلك . وكفاك ما قال وليد بن المغيرة[1] وهوالذي يتوقع الناس منه المعارضة[2] بعد المجادلة والنـزاع « إني قد عرضت هذا الكلام على خطب الخطباء وشعر الشعراء فلم أجده فيها[3] » .

وعلى تقدير صحة النقل عن ابن مسعود أن الفاتحة والمعوذتين ليست من القرآن لعله أراد أنه إذا قصد بها الاستعاذة والتحميد شكرا للنعم من غير قصد القرآن، وكذا تردد الصحابة على تقدير صحته إنما هو فيما دون السورة كالآية والآيتين ، والمعجز إنما هو السورة ومقدارها أخذا[4] من قوله تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ (البقرة:٢٣) على أن المختار عند البعض أن ذلك فيما إذا كانت السورة من الطوال[5] ، وأما إذا كانت من الأواسط[6] والقصار فالمتحدى به إنما هو عشرة منها .

وأما التنافر في مثل ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ ﴾ (يس:٦٠) فليس قويا حتى يخرج عن حد الاعتدال ويخل[7] بالفصاحة ، وأما قوله تعالى ﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ (طه:٦٣) فقد قال أبو عمرو[8] إنه غلط من الكاتب ، والصواب إن هذين وقيل بل[9] هو وارد على

---

(١) أ ، ز : مغيرة ، وما أثبته من « م » . هو: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم من زعماء قريش في الجاهلية ، ولد سنة ٩٥ ق هـ/ ٥٣٠ م ، وعمر طويلا ، وأدرك صدر الإسلام وهوشيخ هرم ، فعاداه وقاوم دعوته ، ونزل فيه قرآن يتلى قد فضحه وكشف أمره ، هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر ، وهو والد سيف الله خالد بن الوليد ﷺ . انظر الكامل لابن الأثير: ٢٦/٢ والأعلام للزركلي:١٢٢/٨ .

(٢) أ : بدون (المعارضة) . (٣) أول ق ٤٧ في أ . (٤) ز: أخذ .

(٥) أ: الصوال . (٦) أ: الأوسط . (٧) ز: يخيل .

(٨) هو : أبو عمرو زبان بن عمار التميمي المازني البصري ، كان من أعلم الناس بالقراءة مع صدق وأمانة وثقة في الدين . روى عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ . كان من أئمة اللغة والأدب وأحد القراء السبعة ، ولد بمكة سنة ٧٠ هـ ونشأ بالبصرة وتوفى بالكوفة سنة ١٥٤ هـ ، قال الفرزدق :

ما زلت أغلق أبوابا وأفتحها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

« قال أبو عبيدة عنه: كان أعلم الناس بالعربية والقرآن والشعر ، له أخبار وكلمات مأثورة . وللصولي كتاب « أخبار أبي عمرو بن العلاء ». انظر وفيات الأعيان لابن خلكان: ٣٨٦/١ والأعلام للزركلي: ٤١/٣.

(٩) أ: بدون (بل) .

لغة بعض العرب فإن إبقاء ألف التثنية والأسماء الستة في الأحوال كلها لغة بعضهم ، من ذلك قوله :

إِنَّ أَبَاهَـــا وَأَبـــاَ أَبَاهَـــا قَدْ بَلَغَا فِي الْمَجْدِ غَايَتَهـــاَ[1]

وأما« الصابئون» مبتدأ وقد حذف خبره وهو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة« إن الذين آمنوا» ، ولا محل لها من الإعراب . وفائدة التقديم التنبيه على أنهم مع كونهم أبين[2] المذكورين ضلالا وأشدهم غيا يثاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فما ظنك بغيرهم . وأما ﴿ ٱلْمُقِيمِينَ ﴾ فمنصوب على المدح ولا لحن فيه أصلا ، ومعنى قول عثمان أن فيه لحنا أنه في خط[3] المصحف وكتابته كما يؤذن به مورده[4] .

وأما حديث التكرار والتطويل بلا[5] فائدة فكاذب قطعا إذ له فوائد جمة لا يخفى على ذي خبرة بأساليب الكلام ومقتضيات المقام . ثم إنهم قالوا إن فيه كذبا من وجوه كثيرة . الأول : أنه قد ذكر فيه أنه عربي مبين مع اشتماله على كلمات غير عربية كـ« الإستبرق» و« السجيل» و« القسطاس» و« المقاليد» .

---

(١) نسب هذا لرؤبة بن العجاج ، ونسبه آخرون لأبي النجم الفضل بن قدامة العجلي . انظر شذور الذهب لابن هشام تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

(٢) أ ، ز: آيتين ، وما أثبته من « ص» .

(٣) أ: حفظ .

(٤) وقد أجاب العلماء عن أثر عثمان هذا بأجوبة عديدة بسطها الإمام السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن»: ٢/٢٧٠ ، وقال في كتابه الاقتراح: «وأحسن ما يقال في أثر عثمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ بعد تضعيفه بالاضطراب الواقع في إسناده ، والانقطاع: . . . أنه وقع في روايته تحريف ، فإن «ابن أشته» أخرجه في كتاب «المصاحف» من طريق عبد لأعلى ابن عبد الله بن عامر قال لما فرغ من المصحف أتي به عثمان فنظر فيه ، فقال: أحسنتم وأجملتم أرى شيئا سنقيمه بألسنتنا . فهذا الأثر لا إشكال فيه ، فكأنه . . رأى فيه شيئا على غير لسان قريش . . فوعد بأنه سيقيمه على لسان قريش ، ثم وفى بذلك كما ورد من طريق آخر أوردتها في الإتقان» .انظر مزيد البحث عن هذا الاقتراح للإمام السيوطي مع شرح ابن الطيب الفاسي: ١/٤٣٣-٤٤٤ .

(٥) أ: بل بلا ، ز: فلا ، وما أثبته من « ص» .

ورد بأنه من توافق اللغتين ، ولو سلم فالمعنى أنه عربي النظـم والأسلـوب ، أو الكل عربي على سبيل التغليب . والثاني : أن فيه شعرا من كل بحر من بحور العرب وقد قال ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾ (يس:٦٩) . ورد بأن ما ذكر فيه ليس بوزن بل إنما يصير إليه بنوع تغير وفيه نظر لأنه إن أريد أن الوارد فيه ليس بسالم البتة بل هو مغير بالعلل الداخلة على الضروب والأعاريض وسائر أجزاء البيت فمسلم ، لكنه لا يخرجه عن كونه بيتا وشعرا ، كيف وكثير من أشعار العرب وغيرهم كذلك .

وإن أريد أنه متغير بغير ما ذكره ما لم يتعارف لدى أرباب العروض فممنوع ، ألا يرى إلى قوله ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف:٢٩) فإنه من الطويل لكنه مشطور[١] وهو لا يخرجه عن كونه بيتا وشعرا وإن قل وقوعه فيه . وقوله ﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة:٨٤-٨٥) فإنه[٢] من الرمل لكنه مع الوقف ميصور وبدونه مكفوف ، وكل منهما لا يخرجه عن كونه بيتا وشعرا أيضا وهو ظاهر لمن تدرب في علم العروض وأشعار العرب الموثوق بهم ، وكذا قوله ﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾ (الأعراف:١٨٣) [٣] فإنه متقارب[٤] مشطور إلى غير ذلك . وأما ما روي عن الخليل[٥] من أنه لايعد المشطور من الشعر فهو على تقدير صحته وعمومه لا يقدح فيما دخل عليه غيره وإنه كثير كما لايخفى على من تأمل في كتابه المجيد .

---

(١) ز: مسطور .

(٢) ز: إنه .

(٣) سورة الأعراف: ١٨٣ ، سورة القلم: ٤٥ .

(٤) أ: من المتقارب .

(٥) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهدي ، من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض ، من أنجب تلامذته سيبويه النحوي ، ولد بالبصرة سنة ١٠٠هـ وتوفى بها سنة ١٧٠ هـ . انظر وفيات الأعيان: ١٧٢/١ والأعلام للزركلي: ٣١٤/٢ .

وقد يجاب بأن مجرد كون اللفظ[1] على هذه[2] الأوزان لا يكفي في كونه شعرا بل لابد من تعمد الوزن بل التقفية[3] أيضا[4] . وتحقيقه[5] أن الشعر هو الكلام الموزون يصنع للوزن وأنه لا يصدق على شيء مما ذكر لأن ما يصدر عنه تعالى إن خلا عن الغرض والحكمة والمصلحة[6] فالأمر ظاهر ، وإلا فالمصلحة فيه هو إرشاد العباد إلى الأحكام الدينية أو الدنيوية لا الوزن وإن كان[7] صادرا عنه بإرادته واختياره. وهذا معنى كونه اتفاقيا صادرا عنه بلا قصد . فاندفع ما يتوهم من أن الوزن من الأمور الممكنة التي تستند[8] إلى القادر المختار فكيف تقع اتفاقا بلا قصد إليه .

هذا وقد يقال بعد تسليم ما سبق أن[9] التغليب باب واسع فيجوز أن يكون تلك الآية ورادة على سبيل التغليب . ونحن نقول ومعنى الآية وما علمنا[10] محمدا بتعليم القرآن الشعر وما هو بشعر والاحتياج إلى التغليب إنما يكون إذا أريد بالقرآن ما يشمل الكل والبعض وجعلت تلك القضية كلية . وأما إذا كانت مهملة أو أريد به المجموع من حيث هو المجموع فلا نسلم أن سياق الآية يأبى عن التغليب ولا يساعده[11] أيضا لما قلناه[12] وكذا سبب نزولها كما لا يخفى على من نظر فيها ووقف على سبب نزولها .

فالأظهر أن المراد بالشعر هو الكلام المؤلَّف من مقدمات خالية كاذبة كما يشعر به سياق الآية ؛ فإنه قرآن مبين وكتاب كريم يوعظ به الجن والإنس ، وذكر سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبَّدات ، وينال بتلاوته والعمل بما فيه إلى سعادة الدارين ؛ فكم بينه وبين الشعر الذي من همزات الشياطين ولم يقصد به

---

(١) أول ق ٥٦ في ز .
(٢) ز: هذا .
(٣) أ: التعقنه .
(٤) ز: بدون (أيضا) .
(٥) أول ق ٤٨ في أ .
(٦) ز: بدون (والمصلحة) .
(٧) ز: بدون (كان) .
(٨) أ ، ز: يسند ، وما أثبته من «م» .
(٩) أ: من أن .
(١٠) ز: وما علمناه .
(١١) أ ، ز: ولا يساعد ، وما أثبته من «م» .
(١٢) أ: نقلناه .

المبحث السادس

في المعراج

قال: مِعْرَاجُهُ وَاقِعٌ يَقْظَانَ فِي بَدَنٍ بِآيَةٍ وَمَشَاهِيرٍ وَوَحْدَانِ[1]

أقول: اختلف في معراج النبي عليه السلام[2] أنه كان في اليقظة أم في المنام، وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت والله ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن عرج بروحه[3] وعن معاوية إنما عرج بروحه وعن الحسن كان في المنام رؤيا يراها[4]. والأكثرون أنه في اليقظة بالجسد إلى المسجد الأقصى بشهادة الكتاب ثم إلى السماء بالأحاديث المشهورة ثم إلى الجنة والعرش أو إلى طرف العالم بخبر الواحد. وهذا معنى قوله «بآية ومشاهير ووحدان».

قال: وُقُوعُهُ كَانَ تَكْرَاراً وَقَدْ دَفَعُوا[5] بِهِ تَعَارُضَ مَا دَلَّ الْحَدِيثَانِ

---

(١) أ: ووجدان.

(٢) انظر في مبحث المعراج شرح المقاصد للسعد: ٣٠٧/٣، ٣٠٨، شرح العقائد له: ١٩٣/١، ١٩٤، إشارات المرام للبياضي: ٣١٤-٣١٨، ولابن تيمية دعوى غريبة تتمثل في أن مجرد قطع المسافة لا يعتبر معجزة له ﷺ؛ بل المعجزة رؤية آيات الله الكبرى. وهذا ما لم يقل به أحد قبله، وقد رد عليه بعض الباحثين المحدثين. انظر النبوات لابن تيمية: ٦، ١١٧، ١١٨ وميزان النبوة لجمال الحسيني أبو فرحة: ٣٥٩، ٣٦٠.

(٣) ولم أقف على مصدر هذا الحديث، وليس في كتب الحديث الستة، ذكره السعد في شرح العقائد: ١٩٣/١ بصيغة التضعيف.

(٤) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر: ١٩٧/٧، ٢١٨، ٤٨٣/١٣.

(٥) ز: رفعوا.

أقول : دل حديث ابن صعصعة[1] على أنه كان في الحطيم وحديث أبي ذر على أنه كان من بيته فجمعهما بعضهم بأنه قد تكرر ، والأول في المنام كما ينبئ عنه أول حديث ابن صعصعة والثاني في اليقظة كما يدل عليه حديث أبي ذر . ومنهم من قال بتكرر وقوعه مرة في مكة إلى السماء كما في حديث ابن صعصعة ومرة منها إلى بيت المقدس ثم إلى السماء وهو المشهور المذكور في القرآن ، وظاهر لفظ المصنف يساعد لهذا .

* * *

المبحث السابع

في نسخ الشرائع السابقة

قال : وَدِينُنَا[2] نَاسِخُ الأَدْيَانِ أَجْمَعِهَا وَلَمْ يَكُنْ نَسْخُهَا جَهْلاً لِدَيَّانِ

أقول[3]: هذا رد لما عليه اليهود من إنكار نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وثبات شريعة موسى عليه السلام إلى يوم القيامة . وقوله «ولم يكن نسخها» إشارة إلى رد ما تمسكوا به في ذلك وهو أن ثبوت نبوته يستلزم انتفاء بعض شرائع من قبله ، وأنه باطل ، وإلا يلزم الجهل على الشارع أو البداء فيما شرع به وكلاهما محالان عليه . وذلك لأن حكمه يشتمل على مصلحة البتة ، فإما أن لا يعلم هو فوات تلك المصلحة بالنسخ والرفع فيلزم الجهل ، أو علم[4] لكن رأى رعايتها أولا ثم أهملها ثانيا لا بسبب فيلزم البداء .

---

(١) حديث مالك ابن صعصعة أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب المعراج ، عن مالك بن صعصعة: ٣/١٤١٠ ، رقم (٣٦٧٤) ، وأحمد في مسنده ، في مسند الشاميين ، عن مالك ابن صعصعة ، رقم (١٧١٦٥) .

(٢) ز: دينه ، أول ق ٥٨ في ز .

(٣) انظر في مبحث النسخ الأربعين للراوي: ٢/١١١-١١٤ ، المحصل له: ٢١٢ ، نهاية الإقدام للشهرستاني: ٤٩٩-٥٠٣ وأبكار الأفكار للآمدي:٤/١١١ ، ١١٢ ، ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٤) أ: أو العلم .

وتحقيق ما ذكره المحقق في رده أن تكليفه تعالى ينقسم إلى تكويني وإلزامي فكما أن الأول يتبدل بحسب تبدل المتعلقات في الأوقات المختلفة أو لحكم[1] ومصالح لا تحصى[2] وذلك كما في النطفة فإنه يتعلق به أولا ثم يتبدل إلى العلقة ثم إلى المضغة ثم إلى العظام ثم إلى كسوتها لحما ثم إلى خلق آخر فتبارك الله أحسن الخالقين . وكما أن كل مرتبة منها ناسخة للأولى ولابسة للأخرى إلى أن يجد كمالها ولم يلزم منه جهل المكون أصلا ، فكذا الثاني يتبدل بحسب تبدل متعلقات من الأشخاص والأفعال في الأوقات[3] المختلفة ، أو لحكم ومصالح من شرع إلى شرع إلى أن يبلغ غايته[4] وهي دين الإسلام ، ولا جهل فيه للحكيم[5] الديان ، بل للمتدينين بما سوى ذلك من الأديان .

قال:وَرُبَّمَا نَصَّ لَكِنْ مَا رَوَوْا حَسَدًا[6] بِنَسْخِ تَوْرَاتِهِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانِ

أقول: هذا جواب عما يتوهم من أن دين موسى عليه السلام لوكان مما ينسخ لوجب النص به وتعليمه لأصحابه . والجواب بأن التنصيص بنسخ الأديان لا يجب علي الأنبياء إذ ربما يفضى ذلك إلى قلق واضطراب في عقائد الأمم ، أو يكتفي في ذلك بدلالة الحال كما في مواعدة موسى عليه السلام ثلاثين ليلة أولا ثم أمره بإتمامه العشر بعدها ، ولو سلم فيجوز أن يقع النص من ابن عمران لكنهم يخفون ذلك حسدا من عند أنفسهم كما أشار إليه المحقق .

* * *

(١) أ ، ز: الحكم ، وما أثبته من «ص» .
(٢) أ ، ز: لا يحصى .
(٣) أول ق ٥٠ في أ .
(٤) ز: رعايته .
(٥) أ ، ز: للحكم ، وما أثبته من «ص» .
(٦) ز: حلا .